دلالات التراكيب اللغوية لصور من الحوار القرآني

أ.م.د. أحمد إبراهيم خضر

كلية الآداب/ جامعة الموصل

The meanings of the linguistic structures of images of the Qur'anic dialogue

Dr. Ahmed Ibrahim Khader

Faculty of Arts, Mosul University

Abstract

This research attempts to find out the meanings of the linguistic structures of images of the Qur'anic dialogue. The dialogue is mentioned in the Holy Quran in a refined manner based on argument and evidence, and the diversity of dialogue in the Qur'anic text. It is not limited to the life of the world and extends to the Day of Resurrection. For each time and place, and adopted the research in a method to divide the dialogue into nine types formed the image that appeared in the Holy Quran, also discussed the dialogue dialogue language and terminology, and the research section pictures dialogue on the first two structures and the actual dialogue in the form of question and question, Irritability.

Keywords: syntax, language, image, dialogue, Quran.

الملخص:

يحاول هذا البحث الوقوف على دلالات التراكيب اللغوية لصور من الحوار القرآني، فالحوار ورد في القرآن الكريم بأسلوب راق قائم على الحجة والدليل، وتنوع الحوار في النص القرآني إذ انه لم يقتصر على الحياة الدنيا وامتد الى يوم القيامة على الرغم من اختلاف الوضعين، فالقرآن الكريم يصلك لكل زمان ومكان، واعتمد البحث في منهج على تقسيم الحوار الى تسعة أنواع شكلت صوره التي وردت في القرآن الكريم، كما تناول البحث الحوار لغة واصطلاحا، وقسم البحث صور الحوار على قسمين الأول التراكيب الفعلية والثاني الحوار بصيغة الاستفهام والتساؤل، وانتهى البحث بخاتمة تضمنت نتائجه

الكلمات المفتاحية: تراكيب، للغة، صورة، حوار، قرآن.

المقدمـة:

ورد الحوار في القرآن الكريم بأسلوبٍ راقٍ قائم على الحجة والدليل، ولم يقتصر الحوار على الحياة الدنيا قط، لكنه يمتد حتى يوم القيامة على الرغم من اختلاف ذلك اليوم عن يومنا هذا، ذلك أنّ حوار القرآن الكريم يصلح لكل زمان ومكان.

وقد جاء الحوار في القرآن الكريم على أنواع عدّة منها:

١ . حوار الله سبحانه وتعالى مع الملائكة [١].

٢ . حوار الله سبحانه وتعالى مع إبليس [٢].

٣ . حوار الله سبحانه وتعالى مع الإنسان [٣].

٤ . حوار الله سبحانه وتعالى مع الأنبياء [٤].

٥ . حوار أهل الجنة [٥].

٦ . حوار أهل النار [٦].

٧ . حوار أهل الجنة وأهل النار [١].

(١) سورة البقرة، الآيات: ٢٩ ـ ٣٢.
(٢) سورة الأعراف، الآيات: ١٠ ـ ١٧.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.
(٤) سورة ص، الآيات: ١٠ ـ ١٧.
(٥) سورة الطور، الآيات: ٢٥ ـ ٢٨.
(٦) سورة فصلت، الآيات: ٢٠ ـ ٢٣.

٨ . حوار الإنسان والملائكة [٢].

٩ . حوار الإنسان والحيوان [٣].

اخترنا من هذه المحاور حوار أهل النار بوصفهِ حواراً زمانهُ الدار الآخرة وليسَ الدار الدنيا وشخوصُه رموز يدلُّ عليها أمران:

أحدهما: إنّ هذه المحاورات لم تقع حقيقةً لأنها لم توجد بعد، ولكنها من ثوابت اليقينيات، فهي متحققة الوقوع لا محالة، وذلك بإخبار القرآن وإخبار القرآن صادقة قطعاً.

والآخر: إنها غالباً لا تُنتسب إلى أطراف محددة، أي أنها لا تُساق على ألسنة أشخاصٍ أو جماعات محددة معروفة، وإنما ترد هذه المحاورات غالباً رامزة إلى أنواع، وليس إلى أشخاص كالكافرين أو السادة أو الأصدقاء ونحو ذلك.

والحوار لغةً: الحاء والواو والراء ثلاثة أصول: أحدها لون، والآخر: الرجوع، والثالث: أن يدور الشيء دوراناً [٤].

فمن الأول فالحور: شدة بياض العين في شدة سوادها مثل عين الظباء والبقر، وليس في بني آدم حَوَر، وإنما شُبِّهت النساء بذلك.

ويقال لأصحاب عيسى عليه السلام الحواريون، لأنهم كانوا يحوّرون الثياب أي يبيّضونها أو يقصرونها، ثم حمل عليه. أمّا الثاني: الرجوع فيقال حارَ إذا رجَعَ قال تعالى: **(إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (١٤) بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (١٥))**[٥].

والحورُ: الرجوع إلى الشيء وعنهُ، وكلُ شيءٍ تغيَّر من حالٍ إلى حالٍ فقد حارَ يَحُورُ حَوْراً [٦]. وقال لبيد:

وما المرءُ إلاّ كالشهابِ وضوئهِ يحورُ رَماداً بعد إذ هو ساطع [٧]

والأصل الثالث: المِحْوَر: الخشبة التي يبسُطُ بها العجينُ يُحوِّرُ بهِ الخُبْزُ تَحْويراً.

والمحاورة: مراجعة الكلام والمنطق في المخاطبة [٨].

والحُوارُ: الفصيلُ أول ما يُنتَجُ، والجميعُ: الحِيران [٩]، وربما سمي بذلك لأنّهُ يرجع إليها، فالحوار: مراجعة الكلام.

والحوار اصطلاحاً: مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين، وهو مقابلة الحجة بالحجة [١٠]،

وفي بحثنا هذا سنحاول دراسة محاجة القرآن لأهل النار وهو يعتمد على محاجة الجاحدين بيوم القيامة، وبيان فساد معتقداتهم وتوجيه الأنظار إلى التدبّر والتفكر، وتحرير العقول من إتباع الهوى أو المادة.

يُعدّ الحوار من وسائل السرد التي يُستعان بها لتقديم الشخصيات والكشف عن أفكارها ومشاعرها، ويُسهم في رسم الحدث وتصويره والكشف عن زمانهِ ومكانهِ.

وهناك ملامح مشتركة يمكن الإشارة إليها في الحوار القرآني منها:

١ . إنّ الحوار القرآني يصلح لكل العصور والشعوب والأجيال.

٢ . تكرار مقولات محددة في أكثر من قصة، كقوله تعالى: **(أَلَا تَتَّقُونَ)**.

٣ . مجيء الحوار طريقةً لحكاية أقوال الشخصيات على ما يقتضيه أسلوب إعجازهِ لا على الصيغة التي صدرت فيها تلك الأقوال ليكون الإعجاز البياني فيها إعجاز القرآن نفسهِ لا إعجازاً لمتونها، وهذا واضح في حوار الشخصيات القرآنية، ويشمل الحكم نفسه الشخصيات التي تتكلم العربية، لأنّ لغة الحوار في القرآن أعلى بياناً مما هو قائم في واقع لغة المحاورين.

---

(١) سورة الأعراف، الآيات: ٥٠ ـ ٥١.
(٢) سورة البقرة، الآيات: ٣٢ ـ ٦٨.
(٣) سورة النمل، الآية: ٤٩.
(٤) مقاييس اللغة: ٢ / ٢٨٧. مادة (حَوَر).
(٥) سورة الانشقاق، الآيتان: ١٤ ـ ١٥.
(٦) العين: ٢ / ٢٧٢. مادة (حَوَر).
(٧) مقاييس اللغة: ٢ / ٢٨٧. مادة (حَوَر)، والبيت في ديوانه: ١١٦.
(٨) العين: ٢ / ٢٤٢. مادة (حَوَرَ).
(٩) م. ن: ٢ / ٢٧٤. مادة (حَوَرَ).
(١٠) الحوار في القرآن الكريم والسنة النبوية، ناصر بن سعيد السيف: ٧ / بحث منشور على الأنترنيت /شبكة الألوكة / آفاق الشريعة.

إنّ جميع حوارات القرآن بمحتواها مما تطمئن إليه العقول والقلوب وتستجيب له المشاعر، أمّا كيفيتها فهي مما لا تدركهُ قُدُرات البشر لسكوت القرآن عن بيان أحوالها، فنحن لا نملك إلاّ التسليم المطلق بها [١].

وقد قسّمتُ هذه الألفاظ حسب نظرية المجالات الدلالية أو الحقول الدلالية التي تمثل جمع عدد من الألفاظ ذوات الدلالة المتقاربة في معانيها وشردها في حقل واحد والبحث لم يتبع هذه النظرية.

وقد اخترنا من صُور الحوار التراكيب اللغوية الآتية:

١ ـ التراكيب الفعلية:

ومنها، قوله تعالى: **(وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (٣٢) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٣))**[٢].

والملاحظ في الآيات الكريمة هو أَنّ الذين استضعفوا هم رمز لعامة الناس الذين يسهل التأثير فيهم ويمكن أن ينقادوا بسهولة.

والطرف الآخر هم الذين استكبروا وهم رمز السادة والزعماء ويستطيعون أن يؤثروا في عامة الناس بأي نوع من المؤثرات كالقوة والمال والجاه والسلطان وغير ذلك.

إنّ وجود الزعماء والقادة أمر طبيعي في كل مجتمع، ويؤكد علماء الاجتماع أَنّ هذه الزعامات توجد حتى في جماعات اللعب لدى الأطفال وبصورة تلقائية، لذلك أَولاها القرآن الكريم اهتماماً واضحاً.

وأهمية القيادات في نظر الدين أنّ السادة والقادة هم العقبة الأساس في وجه الأنبياء وفي طريق انتشار الدين، وذلك لأنهم يَرَوْنَ في الدين هدماً لسيادتهم وانتقاصاً من نفوذهم وقيادتهم. فالأديان كلُّها تدعو إلى المساواة وهذه المساواة أبغض الأشياء إلى السادة، لهذا ينبري هؤلاء السادة دائماً للوقوف بوجه الدين في كل العصور، ونرى هذه الحالة تتكرر يومياً في مجتمعاتنا في معظم مجالات الحياة من آتباع الضعفاء للأقوياء.

إنّ ابتداء الحوار بـ**(ولو ترى)** مع حذف الجواب يوحي بمعنى لا حدود لعمقهِ وتأثيرهِ، حيث إنّ التقدير ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم لرأيت عجباً، وهذا العجب غيرْ محدد بل متروك لتذهب النفوس في تصوره وتخيلهِ حسب السياق كيف تشاء. وكذا الحال **(ولو ترى)** في جميع آيات القرآن دالّة على التهويل والتأثير في النفوس [٣].

أمّا **(اسروا)** فهي من الأضداد اللّغوية [٤] بمعنى أظهروا الندامة، لأنّ الشيء المكبوت في النفس أشدُّ إيلاماً لها وتأثيراً فيها من إظهارها في قوله تعالى **(واسروا الندامة)**.

وذكر الزمخشري [٥]، وابن عطية [٦]، أنّ من المفسرين من فَسَّرَ **(اسروا)** هنا بمعنى أظهروا، وزعَمَ أنّ **(أسّر)** مشترك بين ضدّين، فأمّا الزمخشري فسلمه ولم يتعقبه.

وقد فسَّرَ الزوزني **(الإسرار)** بالمعنيين [٧]، في قول إمرئ القيس [٨]:

تَجَاوَزْتُ أَحْراسَاً إِلَيْها وَمَعْشَرَاً عَلَيَّ حِرَاصاً لَوْ يَسُرُّونَ مَقْتَلِي

(١) البُنى والدلالات في لغة القصص القرآني ـ دراسة فنية ـ أ. د. عماد عبد يحيى: ٣٥٩ ـ ٣٦٢.
(٢) سورة سبأ، الآيات: ٣١ ـ ٣٣.
(٣) أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، د. عبد الحليم حفني.
(٤) الأضداد، ابن الأنباري: ص ٥٣.
(٥) الكشاف: ٣ / ١١٥.
(٦) المحرر الوجيز: ٢ / ٢٧٧.
(٧) شرح المعلقات السبع: ٣٧.
(٨) ديوان أمرئ القيس: ص ٧٣.

وأمّا ابن عطية فأنكره، وقال: " ولم يثبت في قوّافي اللغة أنَّ (أسرَّ) من الأضداد[١]، وفيه هذا نظر وقد عدَّ هذه الكلمة في الأضداد كثيرٌ من أهل اللغة، وأنشد أبو عبيدة قول الفرزدق [٢]:

ولمّا رأى الحجّاجَ جرَّدَ سيفهُ أسرَّ الحَرُوريُّ الذي كان أضْمَرَا

قال ابن الأنباري (وأسررتُ من الأضداد) يكون أسررتُ بمعنى كتمت وهو الغالب ويكون بمعنى أظهرتُ[٣]

إنّ هذه الآية الكريمة تحذر من خطورة الانقياد الأعمى للزعامات وذوي السيادة وتبصير الأتباع إلى سوء المصير حين سلموا قيادتهم بدون بصر، وإنّ هؤلاء السادة لن يُغنوا عنهم شيئاً. وهذه الآية تؤكد حرية الفرد ووجوب استقلال فكره وسلوكه، بحيث لا يسلم قيادهُ إلاّ الحقّ.

فالإسلام لا يحارب القيادة، بل يؤكدها، كما في قول الرسول ﷺ **((إذا كنتم ثلاثة فأمّروا عليكم واحداً منكم))** [٤]، ولكنه يحارب انحرافها وضلالها، لذا قال الرسول ﷺ **((لا يكون أحدكم إمّعة يقول أنا مع الناس إذا أحسن الناس أحسنت وإذا أساؤوا أسأت، بل وطّنوا أنفسكم إذا أحسن الناس أن تُحسنوا وإذا أساؤوا أن تتجنبوا إساءتهم))** [٥].

وحاور أهلُ النار أهلَ الجنة محاورةً تدلُّ على ندمهم وحسرتهم في قوله تعالى: **(وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠))**[٦]، فاستعمل القرآن (افيضوا) ؛ لأنَّ أصحاب الجنة أهلُ سخاء و(من) بيانية لمعنى الإفاضة فيكون (افيضوا) الفعل مُنَزَّلاً منزلةَ اللازِمِ فتتعلق (من) بفعل (افيضوا)[٧]. وذكر ابن عاشور أنَّ (من) تبعيضية والفعل (افيضوا) مُتَعَدٍّ [٨].

والرزقُ مُرادٌ به الطَّعام، والدليل قوله تعالى: **(كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ)**[٩]. وضمير **(قالوا)** ؛ لأصحاب الجنة، وهو جوابهم عن سؤال أصحاب النار، ولذلك فصل على طريقة المحاورة. والتحريم في قوله تعالى: **(حرمهما)** على الكافرين مستعمل في معناه اللغوي، وهو المنع كقول عنترة [١٠]:

يَا شَاةَ مَا قَنِصَ لِمَنْ قَلَّتْ لَهُ حَرُمَت عَلَيَّ وَلَيتَها لم تُحْرُمِ

وقوله تعالى: **(وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا)**[١١]، فيقول أهل الجنة " نحن مربوطون الآن بـ**(كن)** ولم يعد لنا الاختيار، وقد حرَّم الله تعالى عليكم أي شيء من الجنة ومنعه عنكم، وحين طلب أهل النار (الماء) فلأنّهُ (من أوليات الوجود)، وتخصيص طلبهم للماء دون غيره[١٢].

ورأى القرطبي أنّ أهل الأعراف حين يصيرون إلى الجنة يطمع أهل النار فيقولون: ربَّنا إنّ لنا قرابات في الجنة فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم وأهل الجنة لا يعرفونهم لسواد وجوههم فيقولون **(أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ)**، وفي هذا إشارة إلى أنّ الإنسان لا يستغني عن الماء والطعام حتى وإن كان في النار، فقالوا لهم إنّ الله حرّم عليكم ذلك. وفي هذا إشارة إلى أنّ سقي الماء من أفضل الأعمال[١٣].

(١) المحرر الوجيز: ٢ / ٢٧٨.
(٢) ديوانه: ٩٦.
(٣) الأضداد في اللغة، ابن الأنباري: ٣٧.
(٤) صحيح البخاري: ٤ / ١١٧.
(٥) م. ن: ١٥ / ١٢٧.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ٥٠.
(٧) التحرير والتنوير: ٨ / ١٤٨.
(٨) م. ن: ٨ / ١٤٩.
(٩) سورة البقرة، الآية: ٢٥.
(١٠) ديوانه: ٧٦.
(١١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٥.
(١٢) روح المعاني، الآلوسي: ٣٦٢.
(١٣) الجامع لأحكام القرآن: ٧ / ٢١٥.

وقد سُئل ابن عباس ـ **رضي الله عنهما** ـ أي الصدقة أفضل فقال: الماء ألم تروا إلى أهل النار حين استغاثوا بأهل الجنة وذكرَ الآية الكريمة (أن افيضوا)، وقد رُوي عن بعض التابعين قولهم: **(مَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ فَعَلَيْهِ بِسَقِي المَاء)**، وقد غفر الله تعالى ذنوبَ من سَقَتْ الكلب فكيف بمن يسقي رجلاً مؤمناً مُوحِداً أو أحْياهُ [١].

وجاء الحوار مصدَّراً بالفعل المضارع في قوله تعالى: **(وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١))**[٢].

تُطالعنا لوحة مصوغة بالكلمات مفعمة بالحركات تمثل مشهداً أُجري فيه حوار غريب جداً هو الحوار بين أعداء الله وبين أجسادهم.

وجرياً على عادة الاستعمال القرآني في استعمال الأداة المعبرة عن المعنى المناسب في المكان المناسب جاءت الأداة (حتى) لمعنى الغاية، فهي حرف انتهاء في المعنى وابتداء في اللفظ و(اذا) ظرف للمستقبل متضمنة معنى الشرط [٣]، وهو متعلق بجوابه، و(ما) زائدة تفيد توكيد معنى (اذا) من الارتباط بالفعل الذي بعد (اذا) سواء كانت شرطية كما في الآية أم كانت لمجرد الظرفية كقوله تعالى: (واذا ما غضبوا هم يغفرون)[٤]، " وجملة (شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ...) جواب الشرط المتقدم بـ(اذا) فاقتضى الارتباط بين شرطها وجوابها وتعليقها بفعل الجواب (اذا)، وربّما كان جواب (اذا) محذوفاً للتهويل، ومثله كثير في القرآن الكريم، وجملة الفعل الماضي (شهد) مستأنفة استئنافاً بيانياً نشأ عن مفاد(حتى) من الغاية، وما كانت هذه الشهادة إلاّ زيادة خزي لهم وتحسيراً وتنديماً على سوء اعتقادهم في سعة علم الله "[٥].

وتخصيص السمع والبصر والجلود بالشهادة دون بقية الجوارح ؛ لأن (السمع) مختصٌ بتلقي دعوة النبي (صلى الله عليه وسلم) و(الابصار) مختص بمشاهدة دلائل المصنوعات الدّالة على انفراد الله تعالى بالخلق والتدبير· أما (الجلود) فهي تحوي جميع الجسد، فتكون شهادة الجلد شهادة على أنفسها فيظهر استحقاقها للحرق بالنار، ولذلك اقتصروا في توجيه الملامة على جلودهم، لأنها حاوية لجميع الحواس[٦]، وهذا كلّه بخلاف آية سورة النور**(يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)**[٧]، لأنّ هذه الآية الكريمة تصف الذين يرمون المحصنات، وهم الذين اختلقوا تهمة الأفك وأشاعوها بين الناس[٨].

وفي إرشاد العقل السليم أنه الأنسب بتخصيص السؤال[٩] في قوله تعالى: **(وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا)** فإنّ ما يشهد به السمع والأبصار والجلود من الجنايات المكتسبة بتوسطهم وفيه نظر، ولعلّ إرادة الظاهر أولى، وتخصيص السؤال بالجلود لأنّها مدركة العذاب بالقوة المودعة فيها، كما يُشعر به قوله تعالى: **(كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ)**[١٠]، فالجلد موطن الأعصاب وهو الأشدّ إيلاماً من غيره.

إنّ المدافعة عن الجلود أزْيَدُ من المدافعة عن السمع والبصر، فإنّ جلد الإنسان الواحد لو جزئ لزاد على ألف سمع وبصر وهو يدافع عن كل جزء ويحذر أن يصيبه ما يشينهُ، فكانت الشهادة عليهم من الجلود أعجب وأبعد عن الوقوع [١١].

---

(١) م. ن: ٧ / ٢١٥.
(٢) سورة فصلت، الآيات: ١٩ ـ ٢١.
(٣) التحرير والتنوير: ٢٤ / ٢٦٥، وينظر: روح المعاني: ١٢ / ٣٦٦.
(٤) سورة الشورى، الآية: ٣٧.
(٥) التحرير والتنوير: ٢٤ / ٢٦٥، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٥ / ٣٥٠.
(٦) م. ن: ٢٤ / ٢٦٥.
(٧) سورة النور، الآية: ٢٤.
(٨) التحرير والتنوير: ٢٤ / ٢٦٥.
(٩) إرشاد العقل السليم: ٣ / ٢٦٥.
(١٠) سورة النساء، الآية: ٥٦.
(١١) روح المعاني: ١٢ / ٣٦٦.

وقوله تعالى: **(لِمَ شَهِدْتُمْ)** ليس المقصود هنا السؤال وإنما التعجب، لأنّ التعجب حاصل فيما لا يُعلم سببه وعلتهُ، فالسؤال عن العلة المستلزم لعدم معرفتها جُعل مجازاً أو كنايةً عن التعجب، وقد قيل إذا ظهر السبب بطل العجب.

إنّ إجراء ضمائر السمع والبصر والجلود بصيغتي ضمير جمع العقلاء، مقصده أنّ التحاور معها صيّرها بحالة العقلاء يومئذٍ[١]، ومما يؤكد كل ذلك حديث الرسول ﷺ مما رواه عنه أبو هريرة ﷺ **((يقال: الآن نبعث شاهدنا عليك ويتفكر في نفسهِ من ذا الذي يشهدُ عليَّ فَيُخْتَمُ على فيه ويقال الفخذه ولَحْمِهِ وعِظَامِهِ انْطِقِي فَتَنْطِقُ فَخْذُهُ ولَحْمُهُ وعِظامُهُ بعملهِ وذلك ليُعْذَرَ من نفسهِ فذلك المنافق الذي سخط الله عليه))**[٢].

وقال القرطبي: لما خاطبت وخوطبت أجريتُ مجرى العاقل: (وهو خلقكم اول مرة)[٣]، أي ركّب الحياة فيكم بعد أن كنتم نُطفاً، فمن قَدَرَ عليه قدر على أن ينطق الجلود وغيرها من الأعضاء[٤]، ثم يورد حديث الرسول ﷺ.

وجوّز بعضهم أن يكون النطق مجازاً، فالمراد بالشهادة ظهور علامات على الأعضاء دالّة على ما كانت متلبسة به في الدنيا بتغيير في أشكالها ونحوه، وهذا خلاف لظاهر الآية، لأنّ الظاهر في الآية الكريمة تخصيص كلّ شيء حيّ نطق إذ ليس كل شيء ولد حيّ ينطق بالنطق الحقيقي ومثل هذا التخصيص شائع في القرآن.

وجوّز آخرون أن يكون النطق هو النطق الحقيقي، فالله أنطق كل شيء على الدلالة فيبقى العام على عمومه ولا يحتاج إلى التخصيص المذكور، والمراد من كلّ ذلك أَنّ الله تعالى القادر على الخلق أول مرة قادر على الإنطاق[٥].

وبالفعل المضارع إذا كان الخطاب يوم القيامة مع أنّ الرجع فيه متحقق لا مستقل لما كان المُراد بالرجع ليس مجرد الردّ إلى الحياة بالبعث، بل ما يعمله وما يترتب عليه من العذاب الخالد المرتقب عند التخاطب على تغليب المتوقع على الواقع. وجوّز أن يكون لاستحضار الصورة مع مراعاة الفواصل[٦].

وأنكر ابن عاشور مستهجناً أنْ يكون المُراد من الجلود الفروج' وعدّه تعنتاً لا داعي له ومجازفة في التفسير[٧].

وجاء الحوار مصدراً بالفعل الماضي، والمراد منه المضارع في قوله تعالى: (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤))[٨]، وأنّ الحق قد وهبهم هذه الجنة، فهل يا أهل النار وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً.

ونلاحظ أنّ هناك خلافاً بين الأسلوبين مع أنَّ السياق المنطقي واحد. فأهل الجنة يقولون (قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا) ولم يأتِ بالكاف في كلمة (ما وعد) الثانية، بل قال: (فهلل وجدتم ما وعد ربكم حقا).

إنه سبحانه (ما وعد) فقط ولم يقل (ما وعدكم)، كما قال: (ما وعدنا)؛ لأنّ المُراد أن يلفتهم إلى مطلق الوعد وليس الخاص بهم فقط، بل الخاص بالمقابل أيضاً، وهكذا يتحقق الوعد المطلق لله.

فالوجه الحمل على ما تقدم نُصِبَ (حقا) في الموضعين على الحالية وجوّز أن يعرب مفعولاً ثانياً، ويكون وجَد بمعنى(عَلِمَ)، والتعبير بالوعد للمشاكلة وقيل للتهكم.

وهنا مَنْ جَوّز أن يكون مفعول (وعد) المحذوف (نا) وحينئذٍ فلا مشاكلة ولا تهكم وأيّاً كان التوجيه لا يستبعد هذا النداء هناك، وإن بَعُدَ ما بين الجنة والنار من المسافة كما لا يخفى[٩].

(١) التحرير والتنوير: ٢٤ / ٢٦٥.
(٢) أخرجه مسلم في: الجامع الصحيح: ١٢/ ٢٨٨، والقرطبي: ١٥ / ٣٥، وابن عاشور: ٢٤ /٢٦٥،
(٣) سورة فصلت، الآية: ٢١.
(٤) الجامع لأحكام القرآن: ١٥ / ٣٥٠.
(٥) ينظر: روح المعاني: ١٢ / ٣٦٦.
(٦) الجامع لأحكام القرآن: ٢٥ / ٣٥٠، وروح المعاني، الآلوسي: ١٢ / ٣٦٦.
(٧) التحرير والتنوير: ٢٤ / ٢٦٦.
(٨) سورة الأعراف، الآية: ٤٤.
(٩) روح المعاني، الآلوسي: ٤ / ٣٦٣.

وقال ابن عاشور: "عبّر عنه بالنداء كنايةً عن بلوغِهِ إلى أسماع أصحاب النار من مسافة سحيقة البُعد فإنّ سعة الجنة وسِعة النار تقتضيان ذلك، لا سيّما قوله تعالى: (وبينهما حجاب) ووسيلة بلوغ هذا الخطاب من الجنة إلى أصحاب النار وسيلة عجيبة غير متعارفة وقدرته لا حدّ لمتعلقاتها"(١).

إنَّ "المعاني الكنائية لا يمتنع تعددها لأنّها تبع للوازم العقليّة، وهذه الكناية جُمِعَ فيها بين المعنى الصريح والمعاني الكنائية، لكن المعاني الكنائية هي المقصودة إذ ليس القصد أن يعلم أهل النار بما حصل لأهل الجنة ولكن القصد ما يلزم عن ذلك، وأما المعاني الصريحة فمدلولة بالأصالة عند عدم القرينة المانعة. والاستفهام في جملة (فهل)، (وجدتم) مستعمل مجازاً مُرسلاً بعلاقة اللزوم في توقيف المخاطبين على غلطهم، وإثارة ندامتهم وغمّهم على ما فرط منهم والشماتة بهم في عواقب عنادهم"(٢).

والوعدُ يُستعمل في الخير والشرّ على العكس من أوعَد التي لا تستعمل إلاّ في الشرّ(٣)، ودلّت الفاء في قوله: (فأذن مؤذن) على أنّ التأذين مُسَبَّبٌ على المحاورة تحقيقاً لمقصد أهل الجنة من سؤال أهل النار من إظهار غلطهم وفسادِ معتقدهم،" والتأذين رفعُ الصوتِ بالكلام رفعاً يُسمعُ البعيد بقدر الإمكان وهو مشتق من الأُذُن بضم الهمزة. وهذا التأذين إخبارٌ باللعن وهو الإبعاد عن الخير، أي: إعلام بأنّ أهل النار مبعدون عن رحمة الله زيادةً في التأييس لهم"(٤).

قال الشعراوي: "وهكذا نرى التبكيت وتصوّر لنا الآية كيف يرى أهل الجنة أهل النار وهذا الترائي من ضمن النعيم لأهل الجنة ومن ضمن العذاب لأهل النار"(٥).

لذا يحدث الحوار وينادي أصحاب الجنة أصحاب النار معتزمين بأنهم وجدوا ما وعدهم به الله حقّاً وصدقاً(٦).

وجاء الفعل بصيغة الماضي والمعنى يُنادي من المضارع وهو نداء يُراد منهُ تبكيت أهل النار والشماتة بحالهم وليس مجرد الأخبار والاستخبار(٧)، وهو مجاز مرسل مستعمل بعلاقة اللزوم في توقيف المخاطبين على غلطهم وإثارة ندامتهم وعمّهم على ما فرَطَ منهم(٨).

والمعاني المجازية التي علاقتها اللُّزوم يجوز تعددها مثل الكناية، وقرينة المجاز هي ظهور أنّ أصحاب الجنة(٩) يعلمون أنّ أصحاب النار وجدوا وعده حقاً، والوجدان: إلفاءُ الشيء ولِقِيُّه، قال تعال: (فوجد فيها رجلين يقتتلان)(١٠) وفعله يتعدى إلى مفعول واحد، قال تعالى: (ووجد الله عنده)(١١)، يذكر مع المفعول حاله، فقوله: (وجدنا ما وعدنا ربنا حقا) معناه ألفيناه حال كونه حقاً لا تخلف في شيء منه، فلا يدل قوله: وجدنا على سبق بحثٍ أو تطلبٍ للمطابقة كما قد لا يتوهم وقد يستعمل الوجدان في الإدراك والظن مجازاً، وهو مجاز شائع، و(ما) موصولة في قوله: (ما وعدنا ربنا) وما وعد ربكم ودلّت على أنّ الصلة معلومة عند المخاطبين، على تفاوتٍ في الإجمال والتفصيل، فقد كانوا يعلمون أنّ الرسول **ـ عليه الصلاة والسلام ـ** وعد المؤمنين بنعيمٍ عظيمٍ، ووعد الكافرين بعذابٍ أليمٍ، سمع به بعضهم تفاصيل ذلك كلها أو بعضها وسمع بعضهم إجمالها: مباشرةً أو بالتناقل عن إخوانهم، فكان للموصولية في قوله: (أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا) إيجازٌ بديعٌ، والجواب بنعم تحقيق للمسؤول عنه بـ (هل): لأنّ السؤال يتضمن ترجيح السائل وقوع المسؤول عنه، فهو جوابُ المُقِرّ المتحسر المعترف(١٢).

---

(١) التحرير والتنوير: ٨ / ١٣٥.
(٢) م. ن: ٨ / ١٣٥.
(٣) ينظر: ألفاظ العقاب الدنيوي في القرآن الكريم ـ دراسة دلالية ـ، رسالة ماجستير، مقدمة إلى جامعة تكريت، كلية التربية للبنات، أحمد ابراهيم خضر، ١٩٩٥: ٣٧.
(٤) التحرير والتنوير: ٨ / ١٣٦.
(٥) تفسير الشعراوي: ٧ / ٤١٣٥.
(٦) التحرير والتنوير: ٨ / ١٣٦.
(٧) روح المعاني: ٤ / ٣٦٢.
(٨) م. ن: ١ / ٤٦٣.
(٩) التحرير والتنوير: ٨ / ١٣٥.
(١٠) سورة القصص، الآية: ١٥.
(١١) سورة النور، الآية: ٣٩.
(١٢) الجامع لأحكام القرآن: ١ / ٣٥٠.

ودلّت الفاء في قوله: (فأذن مؤذن) على أنّ التأذين مسبب على المحاورة تحقيقاً لمقصد أهل الجنة من سؤال أهل النار من إظهار غلطهم وفساد معتقدهم، زيادةً في التأييس لهم، أو دعاءً عليهم بزيادة البعد عن الرحمة، بتضعيف العذابِ أو تحقيق الخلود، ووقوعُ هذا التأذين عَقِبَ المحاورة يُعلم منه أنّ المراد بالظالمين وما تبعه من الصفات والأفعال، هم أصحاب النارِ، والمقصود من تلك الصفات تفظيع حالهم، والنداء على خُبث نفوسهم، وفسادِ معتقدهم.

والتعبير عنهم بالظالمين تعريفٌ لهم بوصف جرى مجرى اللّقب تعرف به جماعتهم، كما يقال: المؤمنون لأهل الاسلام، فلا يُنافي أنهم حين وُصفوا به لم يكونوا ظالمين، لأنهم قد علموا بُطلان الشرك حقَّ العلم وشأن اسم الفاعل أن يكون حقيقةً في الحال مجازاً في الاستقبال، ولا يكون للماضي، وأما إجراء الصلة عليهم بالفعلين المضارعين في قوله: (يصدون) وقوله: (ويبغونها) وشأن المضارع الدلالة على حدث حاصل في زمن الحال، وهم في زمن التأذين لم يكونوا متصفين بالصد عن سبيل الله، ولا ببغي عوج السبيلِ، وإنَّ ذلك لقصد ما يفيده المضارع من تكرر حصول الفعل تبعاً لمعنى التجدد، والمعنى وصفهم بتكرر ذلك منهم في الزمن الماضي، وهو معنى قول علماء المعاني استحضار الحالة، كقوله تعالى في الحكاية عن نوحٍ: (ويصنع الفلك)[١] مع أنّ زمن صنع الفلكِ مضى، وإنما قُصد استحضار حالة التجدد، وكذلك وصفهم باسم الفاعل في قوله: (وهم بالآخرة كافرون)[٢] فإنّ حقه الدلالة على زمن الحال، وقد استعمل هنا في الماضي، أي: كافرون بالآخرة فيما مضى من حياتهم الدنيا، وكل ذلك اعتمادٌ على قرينة حال السامعين المانعة من إرادة المعنى الحقيقي من صيغة المضارع وصيغة اسم الفاعل، إذ قد عَلِمَ كلُّ سامعٍ أن المقصودين صاروا غير متلبسين بتلك الأحداث في وقت التأذين، بل تلبسوا بنقائضها، فإنهم حينئذٍ قد علموا الحق وشاهدوه كما دلّ عليه قوله: نعم، وإنما عُرِّفوا بتلك الأحوال الماضية، لأنّ النفوس البشرية تُعرف بالأحوال التي كانت متلبسة بها في مدة الحياة الأولى، فبالموت تنتهي أحوال الإنسان فيستقر اتصاف نفسه بما عاشت عليه[٣]، وفي الحديث: ((**يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا ماتَ عليه**))[٤]، ويجوز أن تكون هذه اللعنة من الملائكة يلعنونهم بها في الدنيا، فجهروا بها في الآخرة، لأنها صارت كالشعار للكفرة يُنادون بها. وفي حكاية ذلك هنا إعلام لأصحاب هذه الصفات في الدنيا بأنهم محقوقون بلعنة الله تعالى. والمراد بالظالمين: المُشركون، وبالصدِّ عن سبيل الله: إمّا تعرض المشركين للراغبين في الإسلام بالأذى والصرفِ عن الدخول في الدين بوجوهٍ مختلفةٍ، وسبيل الله ما به الوصول إلى مرضاته وهو الإسلام، فيكون الصدُّ مراداً به المتعدي إلى المفعول. وإمّا إعراضهم عن سماع دعوة الاسلام وسماعه القرآن، فيكون الصدُّ مُراداً به أي اللازم، الذي قيل: إنّ مضارعه بكسرِ الصادِ يَصِدُّ، أو أنَّ حقَّ مضارعه كسرُ الصادِ، إذ قيل لم يسمع مكسورَ الصادِ، وإن كان القياسُ كسرَ الصادِ في اللازم وضمَّها في المتعدي[٥] قوله تعالى: (ونادى أصحاب الجنة) هذا سؤال تقريعٍ وتغييرٍ. (أن قد وجدنا) مثل (أن تلكم الجنة)[٦] أي: أنه قد وجدنا. وقيل: هو نفس النداء (فأذن مؤذن بينهم) أي: ندى وصوّتَ، يعني من الملائكة. (بينهم) ظرفٌ، كما تقول: أعلمُ وسطهم.

وقد روي عن عمر (رضي الله عنه) إنكار (**نَعَم**) بفتح العين في الجواب، وقال: قل نَعِمَ[٧]. ونَعَمْ ونَعِمَ، لغتان بمعنى العدة والتصديق[٨]، فالعدةُ إذا استفهمت عن موجب نحو قولك: أيقوم زيدٌ ؟ فيقول نعم. والتصديق إذا أخبرت عمّا وقع، تقول: قد كان كذا وكذا، فيقول: نعم، فإذا استفهمت عن منفيٍّ فالجواب (بلى) نحو قولك: ألم أُكرمك، فيقول بلى، فَ(نعم) لجوابِ الاستفهام الداخل على الإيجاب.

(١) سورة هود، الآية: ٣٨.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٤٥.
(٣) التحرير والتنوير: ٨ / ١٣٨.
(٤) رواه مسلم في الجامع الصحيح: كتاب الجنّة وصفة نعيمها وأهلها، رقم الحديث (٥٢٥٧).
(٥) التحرير والتنوير: ٨ / ١٣٥.
(٦) سورة الأعراف، الآية ٤٣.
(٧) الجامع لأحكام القرآن: ٧ / ٢١٠.
(٨) التحرير والتنوير: ٨ / ١٣٥.

ويُروى أنّ طاووساً دخل على هشام ابن عبد الملك فقال له: اتق الله واحذر يوم الأذان، فقال: وما يوم الأذان؟ قال: قوله تعالى: (فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين) فصعق هشام، فقال طاؤس: هذا ذُلُّ الصفةِ فكيف ذُلُّ المعاينة[١].

فأهل الجنة بإيمانهم وأعمالهم في الجنة فضلاً من الله، وأهل النار بكفرهم وعصيانهم في جهنم عدلاً من الله، وهنا يجيب أهل النار: (قالوا نعم) , وهذا إقرار منهم بالواقع الذي عاشوه واقعاً بعد أن كان وعيداً، وهم لم يكابروا ؛ لأنّ المكابرة إنما تحدث بين الخصمين في غير مشهد، وهم في الدنيا قبل أن يوجد المشهد كانوا يكّذبون البلاغ عن الله، وصارت الدار الآخرة واقعاً، وتحقق وجودهم في النار، (فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين)[٢]. أي: فينادي منادٍ من الملائكة يُسمع أهل الجنة وأهل النار بأنّ الطرد من رحمة الله على الظالمين الذين ظلموا أنفسهم، بعدم الإيمان وبالتكذيب باليوم الآخر[٣].

٢ ـ الحوار بصيغة الاستفهام والتساؤل:

جاءت الآية الكريمة دالّة على الحوار في قوله تعالى: (يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢)[٤]. معنى (يتساءلون) جاءت على صيغة (تفاعل) الدالة على المشاركة، يعني يسأل أصحاب اليمين بعضهم بعضاً عن شأن المجرمين وتكون (ما سلككم في سقر) بياناً لجملة (يتساءلون). وضمير الخطاب في قوله: (سلككم) يُؤذِنُ بمحذوف، والتقدير فيسألون المجرمين (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ)، وليس آلتفاتاً أو يقول بعض المسؤولين لأصحابهم جواباً لسائلهم قلنا لهم: (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ)، ويجوز أن تكون صيغة التفاعل مستعملة في معنى تكرير الفعل، أي: يُكثر سؤال كُلِّ أحد منهم سؤالاً متكرراً أو هو من أجل تعدد السؤال لأجل تعدد السائلين. وأصل سلكه: أدخله بين أجزاء الشيء حقيقةً ومنه جاء سلك العقد، واستعير هنا للزجّ بهم[٥]. وقولنا سلكت الخيط: أي: أدخلته، فالتسلك: إدخال الشيء في الشيء [٦].

ولمّا كان أهل اليمين يشرفون من أعالي الجنة على المجرمين فيسألونهم عن ولوجهم النار فيحصل جوابهم وذلك إلهام من الله ليحمده أهل الجنة على ما أخذوا به من أسباب نجاتهم من أصحاب المجرمين ويفرحوا بذلك.

قال الآلوسي: "السؤال سؤال توبيخ وتخسير، وإلاّ فهم عالمون ما الذي أدخلهم النار... واستدلّ على أنّ الكفار مخاطبون بفروع العبادات وعن إنكارهم إياها"[٧]. قالوا، أي: المجرمون للسؤال: (قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧))[٨]، إشارة إلى استمرار النفي (وكنا، وكنا)، و(اليقين): الموت.

والمقصود من حكاية السؤال والجواب التحذير، فلو كان الجواب كذباً أو خطأ لم يكن في ذكره فائدة، والخوض في الأصل ابتداء الدخول في الماء والمرور فيه واستعماله في الشروع في الباطل من المجاز المرسل أو الاستعارة.

وعن بعضهم أنهُ اسم غالب في الشرِّ وأكثر ما استعمل في القرآن بما يذم الشروع فيه وأُريد بالباطل مالا ينبغي من القول أو الفعل، وعدّ من ذلك حكاية ما يجري بين الزوجين في الخلوة مثلاً وحكاية أحوال الفسقة بأقسامهم على وجه التلذذ والاستئناس بها ونقل الحروب التي جرت بين الصحابة **(رضي الله عنهم)** لغير غرض شرعي، بل لمجرد أن يتوصل إلى الطعن. وكان ذكر (الخائضين) إشارة إلى عدم اكتراثهم بالباطل ومبالاتهم به وكأنهم لا يألمون بالباطل.

ويرى ابن عاشور: ان كان السؤال على حقيقته من الاستفهام مستعملاً في أصل معناه كان الباعث على السؤال، إمّا نسيان الذي كانوا عملوه في الدنيا من أسباب الثواب والعقاب فيبقى عموم (يتساءلون) الراجع إلى أصحاب اليمين أو عموم المجرمين على

(١) تفسير الشعراوي (خواطر الشعراوي): ٧ / ٤١٤٧.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٤٤.
(٣) التحرير والتنوير: ٨ / ١٣٥.
(٤) سورة المدثر، الآيات: ٤٠ ـ ٤٢.
(٥) التحرير والتنوير: ٢٩ / ٣٢٥.
(٦) العين: ٢ / ١٨٥.
(٧) الآلوسي: ١٥ / ١٤٦.
(٨) سورة المدثر، الآيات: ٤٣ ـ ٤٧.

ظاهره، فيسأل أهل اليمين المشرفون مكاناً على النار ومن أعالي الجنة فيسألهم عن سبب ولوجهم النار فيحصل جوابهم وذلك إلهام من الله ليحمده أهل الجنة على ما أخذوا به من أسباب النجاة مما أصاب المجرمين ويفرحوا بذلك. وإمّا أن يكون سؤالاً موجهاً من بعض أصحاب اليمين إلى أُناس كانوا يظنونهم من أهل الجنة فرأوهم في النار من المنافقين أو المرتدين بعد موت أصحابهم، فيكون المُراد بأصحاب اليمين بعضهم وبالمجرمين بعضهم، وهذا مثل قوله تعالى: (فاقبل بعضهم على ببعض يتساءلون)[١]، وقوله فيها: (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥))[٢]. وإن كان السؤال ليس على حقيقته وكان الاستفهام مستعملاً في التنديم أو التوبيخ فعموم أصحاب اليمين وأصحاب الجحيم على حقيقته [٣]. وقيل أصحاب اليمين: الولدان لأنهم لا يعرفون الذنوب[٤].

قوله تعالى: (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ (٣٠))[٥]، فسّرها الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله: **((لا تزال جهنم يُلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع ربَّ العزة قدمه فيها فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول قط قط وعزّتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشيءَ الله خلقاً آخر فيسكنهم الله تعالى في فضول الجنة))**[٦].

(هل من مزيد) هل بقي فيَّ مكان يحتمل الزيادة يعني هل امتلأتِ، والله **. تبارك وتعالى .** وعدها بملئها فملأها.

قال ابن عاشور: المناسبة تعليقهُ بأَنَّ أنّ هذا القول لجهنم مقصود به ترويع المدفوعين إلى جهنم أن لا يطمعوا في أنَّ كثرتهم يضيقُ بها سعة جهنم فيطمع بعضهم أن يكون ممن لا يوجد له مكان، فجاء في القرآن عبرة لمن يسمعه من المشركين.

والقول الأول: حقيقي وهو كلام يصدر من جانب الله بمحض خلقهِ دون واسطة.

وأما القول الآخر: لجهنم فيجوز أن يكون حقيقة بأن خلق الله في أصوات لهيبها أصواتاً ذات حروف يلتئم منها كلام، ويجوز أن يكون مجازاً عن دلالة حالها على أنها تسع ما يُلقى فيها من أهل العذاب بأن يكشف باطنها للمعروضين عليها حتى يروا سعتها كقول الراجز: امتلأ الحوض. وقال قطني: والاستفهام في (هل من مزيد) مستعمل للتشويق والتمني[٧].

الخاتمة

- طغى على حوار أهل النار كثرة التساؤل والاستفهام الذي غالباً ما يشير إلى معانٍ أُخَر غير الظاهرة كالتوبيخ من النص (ما سلككم)، (لو ترى)، (اين شركائي).
- تكثيف الحوار في السور المكية وهو ما يتناسب مع بداية الدعوة قبل أن يصبح الإسلام دولة لها قوانينها وحدودها وأحكامها.
- جاء الحوار بأعظم أساليب الإعجاز اللغوي الدال على المحاججة العقلية والمنطقية وإبراز الحجة.
- حوارات القرآن كلُّها دروس وعبر يراد منها الموعظة والتوجيه، وهذا يتناسب مع القرآن الكريم دستور المسلمين.
- تقسم أهل النار على دركات، كما تقسم أهل الجنة على درجات، وكل دركة تختص بطبقة خاصة من المعذبين المعاقبين.
- ذُكِرَ في القرآن المحاور الضدي الآخر على الرغم من فسادهِ، وفي هذا فسحة لمن يريد أن يعبَّر عن رأيه وإن كان مخطئاً أو فاسداً.

(١) سورة الصافات، الآية: ٥٠.
(٢) سورة الصافات، الآيات: ٥١ ـ ٥٥.
(٣) التحرير والتنوير: ٢٩ / ٣٢٥.
(٤) الجامع لأحكام القرآن: ١٩ / ٨٧.
(٥) سورة ق، الآية: ٥.
(٦) رواه مسلم في الجامع الصحيح: ١٥ / ١٦٥.
(٧) ينظر: التحرير والتنوير ٢٩ / ٣٢٥.

المصادر والمراجع

١. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبو السعود العمادي):** محمد بن محمد بن مصطفى، (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).

٢. **أسلوب المحاورة في القرآن الكريم،** د. عبد الحليم حفني، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.

٣. **الأضداد:** أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م.

٤. **ألفاظ العقاب الدنيوي في القرآن الكريم . دراسة دلالية .** رسالة ماجستير تقدم بها: أحمد ابراهيم خضر خلف إلى كلية التربية للبنات، جامعة تكريت، بإشراف: الأستاذ الدكتور جايد زيدان مخلف، ١٩٩٥ م.

٥. **البُنى والدلالات في لغة القصص القرآني دراسة فنية،** الأستاذ المساعد الدكتور عماد عبد يحيى، ط ١، ٢٠٠٩، عمان، دار دجلة.

٦. **التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)،** محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، (د. ط)، تونس ١٩٨٤م.

٧. **التداولية والشعر قراءة في شعر المديح في العصر العباسي،** عبد الله بيرم، دار مجدي راوي، عمان، الأردن، ٢٠١٠.

٨. **تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز):** أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م.

٩. **تفسير الشعراوي . الخواطر .،** محمد متولي الشعراوي، (ت ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، منشور عام ١٩٧٧م.

١٠. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وسننه وأيامه . صحيح البخاري،** محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١١. **الجامع لأحكام القرآن:** أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: احمد البردوني وابراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة ٢، ١٣٨٤هـ . ١٩٦٤م.

١٢. **ديوان امرئ القيس،** شرح أبي سعيد السكري وملحقاته، تحقيق: أنور أبو سويلم، د. حمد أبو الشوابكة، الأمارات العربية المتحدة، العين، ط ١، ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م.

١٣. **ديوان عنترة،** تحقيق ودراسة: محمد سعيد مولدي، المكتب الإسلامي،١٣٩٠هـ . ١٩٧٠م.

١٤. **روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني:** محمود شكري الألوسي البغدادي شهاب الدين، إدارة الطباعة المنيرية، تصوير دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٨ م.

١٥. **شرح المعلقات السبع، الزوزني،** أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني (ت ٤٦٨ هـ)، بيروت، دار القاموس الحديث، (د.ت).

١٦. **شرح ديوان عنترة بن شداد (ت ٢٢ ق. م)،** قدّم له وعلّق على حواشيه: سيف الدين الكاتب، بيروت، دار مكتبة الحياة.

١٧. **شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري (ت ٤١ هـ)،** تحقيق الدكتور إحسان عباس، سلسلة التراث العربي، الكويت، ١٩٦٢م.

١٨. **صحيح مسلم (الجامع الصحيح):** الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري (ت ٢٦١ هـ)، ط ١، دار الخلافة العالية، ١٣٠هـ.

١٩. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:** أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨ هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).

٢٠ - **مقاييس اللغة:** أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ . ١٩٧٩م.